من وحي الخنيه

آذار !... حدثني ...

[مهداة إلى الأستاذ الزيات]

للأستاذ شكري فيصل

آذار ... يا مُطلِق الحياة من قيود الشتاء ... وباعث النور في أرجاء الكون ... حدثني ... كيف ضممت إليك « دمشق » بعد هذا الفصل القاتم ، وذاك الجو الغائم ؛ وتلك الليالي القريرة ؟ ! ... هل أزحت عنها أثقال السحاب ... وجبت ظلام الضباب ... ونشرت الروح في جنباتها الحلوة ... أم أنها لا تزال بعدُ غارقة في صمت الشتاء ، صابرة على أذى القرّ ... تنذرها السماء ؛ وتهددها العواصف ؟ ! ...

آذار ! ... أيها المنطلق هنا على حفاتي النيل ... تستمع إلى أنشودته الصامتة ؛ وهمسه الخفيف ... حدثني عن « بردى » هذا النهر الوادع ... ألا يزال ثائراً مضطرباً ... يحمل الخوف ، وينشر الذعر ، ويبث الاضطراب ، ويفيض على أطرافه وجنباته كأنما ملّ مظاهر الجور ومهازل الحياة ... أم أنه عاد سيرته الأولى ... يحمل الأمان إلى النفوس ، ويشع الحياة في المهج ؛ وتصطفق أمواجه الفانيات وتنصت إليه أفئدة وقلوب ... لتسمع أغنيته الخالدة ، ولحنه البارع ... وتنتشر على ضفتيه طوائف الناس تنعم بهذا الرحيق السلسل ، وهذا الصفاء الجميل ... وتقرأ في صفحاته آيات المجد الذي انبثق مع « الغساسنة » وترعرع في جنبات قصورهم الناعمة ؛ وتكامل في عهد « أميّة » وفي ظلال سلطانهم الواسع ... ثم غاب حيناً من الدهر ... فبكاه هذا النهر ... بدموعه وعبراته ... حتى إذا ولد من جديد في تاج « فيصل » وملك « فيصل » ... وفتح عينيه للنور ، ومدّ ذراعيه يريد أن يحبو ... انتزعه الدهر ؛ في ليلة سوداء كالحة ، ورمى به في صحراء اليأس المجدب ...

آذار ! ... أيها المرح هنا في ربوع (الأرمان) ؛ وملاعب الجزيرة ، وحدائق النيل ... حدثني ... هلا حملت المرح إلى وطني الآخر ... ؟ هلا زرعت البسمات على الشفاه ... ودفئت الدم في العروق ، وأحييت موات الأمل في القلوب ... ؟ أم أن القوم في شغل عنك ... يقارعون الدهر العصيب ، ويجالدون الزمن الغادر ، ويداورون الأحمق السفيه ؟

آذار ... أيها الضاحك هنا على شفاه الأزاهير الفوّاحة ... حدثني ... عن أزاهير دمشق ... هل تفتحت عنها براعمها بعد هجعة طويلة ثقيلة ... وهل نشطت الحياة في سائد الشجيرات الفتية القائمة في وسط الحدائق كأنها زمرة غانيات في موكب زفاف ... ترقص مع خطرات النسيم ، وتهتز مع أنداء الفجر ، وتصفق كلما ذهب بها الهواء هنا وهناك ! ... وهل استفاقت هذه الجنات الفيح يا آذار ... فنثرت الزهر ، ونشرت العطر ، وطبعت على وجه الدنيا قبلتها الضاحكة ... كأنها تنفخ فيها روحاً من النشاط ؟

والغوطة .. هل اكتست للغوطة ذاك الثوب الزاهي يا آذار ! بعد عرى طويل ... فنبت في أرضها العشب الأخضر ... ورّيان نديًّا ... يتفتح الفتوة ، ويمور بالحياة ، ويستقبل الشمس مع الصباح بقطرات من الندى المبعثر ... البراق كالماس ... ويودعها مع المساء وهو يقبلها كأنه يتمنى ألا تزول عنه ... ثم يبكي فراقها في الليل بدموعه الصافية اللألاءة ! ! ...

... والزهر المتشقق على مبسم الغصن يا آذار ! ... هل رقّت أوراقه الملونة لنجوى المحبين ، وآهات الشاكين ، وقلوب المتيمين ؟ وهل خرج الناس يشهدون هذا السحر الحلال ، وهذه الروعة الضاحكة ... ويتنعمون بهذه الأجواء المعطرة ، والدنيا المتألقة ، ويتشقون في هوائها الأرج والعبير ، ويطوفون بها كما يطوفون في جنات الخلد ... ويتمرأون آيات الله البارعات في الغصن المائس والفروع المهتزة ، والماء الذي يخرج به نبات مختلف ألوانه ؟ !

... ومواكب الزهر يا آذار ! ... هل شهدت « دمشق » هذا العام مواكب الزهر ؟ ... وهل ضحكت هذه المدينة الصابرة لصروف الزمان وعبث الدهر ... وهل صافحت عيناها من جديد ... هؤلاء الفتيان الذين يذهبون هنا وهناك ... مع شعاعات الفجر الأولى ، يستقبلون الصباح ، ويرتعون في الحقول ، ويمرحون في الجنان ، وينتقلون ... كالفراشات الطائرة ... من شجرة إلى شجرة ، ومن غصن إلى غصن ... ويصفقون مع أمواه النهر ،

وينتشون من هذا السحر ؛ ويغنون يومهم لله ولأنفسهم ... ثم يعودون ... وفي أيديهم هذه الحمالات من الورد ؛ وهذه الباقات من الزهر ؛ ينشرون عبيرها في رحاب المدينة وأحيائها ... في صدورهم البشر ، وفي وجوههم المرح ؛ وعلى ألسنتهم نشيد الوطن الغالي ؟ ! ...

والريف البعيد يا آذار ! ... هل انتفض من نومه العميق ... وهل فتح أهله أبواب دورهم بعد أن سدتها الثلوج ، فحالت بينهم وبين الخروج ... فظلوا في حصار الطبيعة شهراً أو بعض الشهر لا يغادرون هذه المدافئ البنية في زاوية من زوايا الغرفة .. وهل بدأوا حياة الربيع الوادع ... يتفقدون زرعهم الذي دفنوه في الأرض ، ووكلوه إلى الله ، وانتظروا موسم حصاده ؟!

وهل خرج أطفالهم يتسابقون في طرق القرية ، ويتسلقون قمم الجبل ؛ ليظفروا بالثلوج المتجمدة . . . يتراشقون بها ، ويتزحلقون عليها ، على طريقتهم الساذجة الأولية ؟ ! ...

... وفتيات القرى يا آذار ! ... هل انتصبت قاماتهن ؛ بعد أن حناها الشتاء ؛ في طريقهن إلى ماء القرية ، يستقين منه ، وقد علتهن الجرار ، ولثمت خدودهن هذه النسمات العليلة ؛ وعبثت بخمرهن ؛ فحركتها ذات اليمين وذات الشمال ... واجتمعن حول الورد ينشدن في همس خفيف ، وتمتمة ناعمة ، ويتحدثن حديث القرية وضيوفها ومواسمها وأعراسها ... ؟ ...

* * *

وحديث الجبال يا آذار ! ... هل انتشحت بوشاحها الأخضر الزاهي ؛ وهل نبتت فوق تربتها هذه الحشائش القصيرة ، على أنقاض الثلوج ، وبقايا السيول ... وهل خرجت القطعان تسرح في شعاب هذه الجبال ؛ وفي صعابها ؟ ... وهل سمعت يا آذار ... أصوات أجراسها حين تتضيف الشمس إلى المغرب ... وتنسحب غلائلها على صفحة الأفق الوردية ... وتتراءى صفحة السماء رائعة جميلة ... وتظاهر الشمس كدائرة من النار الملتهبة ، تغطس في بحر الظلام فيخمد لهبها ويطفأ نورها ، وتمحى شعاعاتها من السماء ... فتبكيها هذه القطعان ... بأصوات أجراسها الحزينة ؛ وتلتفت لتعود إلى القرية ... في جنح الليل ، وستار الظلام ... والرعاة ، يا آذار ... هؤلاء الذين شرفهم الله ، فجعل منهم الأنبياء ... هل تسلقوا الجبل مع قطعانهم ، وحملوا مزاميرهم في أيديهم ، ووقفوا عليها نشيد الحياة الهادئة التي تتعالى عن الأرض ، فلا تعرف المكر والغل ... وتتقرب من السماء ، فلا تعرف إلا الإيمان والنور والحق ... وهل أنصت إلى نغماتهم الحلوة يا آذار التي يرسلونها في هذه الوحدة كأنها وحي السماء ، ونغمة الكون المتسقة ، فتنتقل أصداؤها في الجبال مع خفقات الريح ... ويلقنها الطير ليذهب برتلها على الناس في الوديان والحقول والبساتين ...

... حبذا يا آذار ... حبذا لو استطعت أن تحملني على جناحين رفيقين من نسماتك اللطاف ... إلى مجالي الأنس ، وربوع الحياة ، إلى مطارح الصبا وملاعب الفتوة ... أطفىء هذا الحنين الذي يأكل كبدي ، وأقنع هذا الشوق الذي يضطرم في صدري ... برشفات من بردى ... ونسمات من « قاسيون »

حبذا يا آذار ... حبذا ...

(القاهرة) شكري فيصل

١/٣ عدد الرجال لا يتمتعون ببهجة الحياة !

وبهذه البرهنات الى طبيعة الأمر في شكل مستحضرات طبية ، فيمكن لجميع الرجال الذين يشكون من قلة البرهنات في أجسامهم ان يتداركوا أنفسهم وفقد اكتسب مستحضر « لولوتيطس » شهرته في هذا الميدان عن جدارة لاحتوائه على البرهنات ، ولقد ظهر نجاح « لولوتيطس » في معالجة جميع الحالات التي فشلت فيها سائر الأدوية لأهل معرفة كل ما يتعلق بالحياة الجنسية (بالصورة الجوية) بجانب كتاب الحياة الجديدة الذي يمكنك الحصول عليه بقيمة ٥ قروش للنسخة الفرنسية او الانجليزية الحاوي برسوم ذات خمسة الوان و ٣٠ نسخة تصوير تحليلية طبية الى بريدك بعناية مرسين : يصدر في بوستة ٢١٠٥ بمصر

اخذ براع .. سرعة القذف قابلية للشفاء بوساطة نوى تيطس نمرة ٣ || مجانا

اطلب نسخة من البيان المصور من عناية مرسين ص.ب ٢١٠٥ بوستة مصر او لولوتيطس شارع بريد ٥ نمرة ملبات

(سجل تجاري ٥٢٢٧)

صاحب الديوان أيضا

ممنيت إلى الديوان للمرة الثانية ، وأنا أمنى النفس أن أحظى هذه المرة بما لم أحظ به فى المرة السالفة من حل مسألتى ؛ ولقد حرصت على أن يكون حضورى إلى الديوان فى وقت لا يدع مجيء إليه مجالاً للشك فى بدء العمل به ؛ فكنت هناك فى نحو الساعة العاشرة من صباح أحد الأيام .

ورأيت فى إحدى الردهات من توسمت فيه أنه صاحب ديوان فاتجهت إليه مبتسماً محيياً ، ورجوت منه أن يدلنى أين أذهب للسؤال عن كيت وكيت ، فأجاب دون أن يقف ، وأنا أسرع الخطو لألحق به ، كأنما كان فى سبيله لتلافى خطر من الأخطار الداهمة: «عند حسنى أفندى فى الشطب هناك على شمالك وراء السلم»

وذهبت إلى « الشطب » ، فإذا هو قاعة كبيرة ، فيها نحو عشرين من أصحاب الديوان ، ورأيتهم جميعاً لأول نظرة ، والحق يقال ، منكبين على أوراقهم . فقصدت أقربهم إلى الباب ، فحييت وقلت : « حضرتك حسنى أفندى ؟ » فلم يزد على أن أشار بإصبعه إلى من أردت دون أن تنفرج شفتاه ولو برد التحية ، ولعله كان فى شغل بعملية حسابية معضلة أو بتدبير حل لمشكلة من مشاكل عمله

ونظرت إلى حسنى أفندى وأنا أخطو إليه ، أحاول أن أتبين شيئاً عن خلقه من مظهره ، فخانتنى فراستى إما لقصر المدة ، وإما لأنى رأيت منظره يدل على ألف معنى فلا يدل من أجل ذلك على معنى ! ... ووقفت أمام مكتبه فحييت فى هدوء مبتسما منتظرا أحرص الحرص كله على أن أكون خفيفاً ظريفاً على نفسه ما وسعنى الظرف ... ولكن ظرفى أو قل تظرفى ذهب عبثاً ، فإنه لم يرفع رأسه من بين أوراقه ليراه ؛ ولمحت دلائل الغضب على محياه فتهيبت ! ولكنى استعنت ثانية بابتسامة عريضة وكررت التحية فرفع رأسه هذه المرة ونظر إلىّ قائلاً : «أهلاً وسهلاً يافندم» ثم عاد إلى أوراقه كأنى ما جئت إلا لأتبادل وإياه عبارة التحية على هذه الصورة الجميلة ثم أنصرف !

وانتظرت برهة ، وهو ينقل عينيه من هذا الدفتر إلى ذاك ، ويكتب هنا كلمة وهنا سطرين ، دون أن يخطر على باله أن هناك أحداً يريد التحدث إليه ... ولعله قد تعود ذلك فما يأبه لمن يقف أمام مكتبه . ولو ظل هناك إلى موعد الانصراف

وطال انتظارى حتى أوشك أن ينفد صبرى ، والمرء على أى حال لا يطيق مهما بلغ من حلمه ألا يأبه به الناس فى غير داع إلى ذلك ... على أنى عدت فتلطفت وإن كرهت من نفسى هذا التلطف الذى أخذ يسمج كسماجة ذلك الذى لا يريد أن يلتفت إلىّ ؛ وناديته باسمه فى صوت مسموع ونفسى تحدثنى أنه قد يكون بانكبابه هذا على العمل من ذوى النشاط فعسى أن أفيد من نشاطه

وأخيراً بدا له أن يستجيب إلى ؛ فقال فى كثير من اللؤدة وعدم المبالاة « نعم يا افندى » فأخذت أشرح له أمرى ، ولكنه ظهر كمن لا يعى مما أقول حرفاً وبدا فى وجهه التململ والامتعاض ثم مد يده إلى أوراق كنت أعددتها فى يدى ، فنظر فيها نظرة ثم قال : « لا ، دا هناك فى المستخدمين عند عزت افندى » ... وعاد بعدها قبل أن أدبر ظهرى إلى ما كان فيه من جسيمات المشاكل

وانطلقت أبحث فى « المستخدمين » عن عزت أفندى هذا لأخبره بما قال حسنى افندى الذى فى « الشطب » فكان حالى معه كما كان مع سلفه : تشاغل عنى وصلف فى الرد علىّ ، وما كان جوابه سوى أن قال هو أيضاً : « يا فندم موضوعك ده فى الحسابات عند مراد افندى » ؛ خرجت من لدنه أسأل نفسى أأخرج إلى غير عودة من الديوان ، فقد آلمنى ما ألاقيه وليس فى مسلكى ولا فى مظهرى ما يستأهل هذه المعاملة ، أم أعتصم بالصبر فأحظى بالمثول بين يدى مراد افندى أيضاً ؟ وملت بعد تردد إلى الرأى الثانى ؛ ولكن مراد افندى أكد لى أن مسألتى عند حسنى افندى فى الشطب وإلا فهو لا يعرف فى الديوان شيئاً

ولعله كان بين مراد وحسنى ما جعل أولهما ينهض ليذهب معى إلى الثانى ، وعدت إلى حسنى افندى فى الشطب وبين يدى هذه المرة صاحب ديوان مثله ، وبعد نظرات كريهة رمانى بها حسنى وبعد مشادة ليست بالهينة بين صاحبى الديوان تبين أن المسألة عند هذا الذى أحالنى من أول الأمر على غيره ! ... ولكنه لم ينظر فيها بل استمهلنى إلى غد ، ولم يسعنى ، وقد رأيت ما رأيت إلا أن أخرج وأمرى لله !

(غدا)